التعزية

التعزية هي مواساة أهل الميت وتخفيف مصابهم وحثّهم على الصبر والاحتساب ومن حقوق الأخوَّة في الله، وهي سُنّة نبوية مؤكدة، فقد عزَّى النبيُّ ﷺ أصحابه، وعزَّى الصحابة بعضهم بعضًا، والتابعون وتابعو التابعين، وجمهور أهل العلم يرى مشروعيتها بلا خلافٍ، ومشتَمِلَةٌ على الأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المُنكَر، كما أنها تندرج تحت عموم قوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾، وتهدف إلى تعزيز التكافل الاجتماعي والتراحم بين أفراد المجتمع في لحظات الفقد، ولا تقتصر التعزية على عبارات المواساة التقليدية فحسب، بل تمتد لتشمل تقديم الدعم النفسي والمادي والوقوف بجانب ذوي المتوفى لتقوية عزيمتهم، وتتجلى أهميتها في إشعار الحزين بأن هناك من يشاطره ألمه، مما يخفف من وطأة الحزن ويسهم في لمّ شمل القلوب وتآلفها تحت مظلة الإيمان بقضاء الله وقدره.

1. من يُشرع تعزيتهم

يُستحَبُّ أنْ يُعَزَّى جميعُ أقارِبِ الميِّتِ؛ أهلُه الكبارُ والصِّغارُ، الرِّجالُ والنِّساءُ، إلَّا أن تكونَ المرأةُ شابَّةً؛ فلا يُعَزِّيها إلَّا محارِمُها، وهذا باتِّفاقِ المذاهب .

2. صيغة التعزية

ليس في التعزية ألفاظٌ مخصوصة وعباراتٌ مُعيَّنة ، بل يُعَزِّي المسلمُ أخاه بما تَيَسَّرَ من عباراتٍ حسنةٍ تُحقِّقُ المقصود، و تحصل التعزية بكل لفظ يُصبِّر المصاب على مصيبته، مثل قول "البقاء لله" أو "أعظم الله أجرك" أو "اصبر واحتسب" أو غير ذلك مما تعارَفَ عليه الناس، فالأمر واسع؛ ولكن مع تجنب الألفاظ المخالفة للشرع؛ كقول "البقية في حياتك" وغيرها من العبارات التي لا تصحُّ شرعًا؛ ، و أحسن ما يُعزَّى به ما روي في الصحيحين عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قال: أرسلت إحدى بنات النبي ﷺ إليه تدعوه، وتُخبِره أن صبيًّا لها أو ابنًا قد مات ، فقال صلى

الله عليه وسلم : ارجع إليها، فأخبرها أن لله تعالى ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجلٍ مُسمًّى، فمُرْها فلتصبِر ولتحتسب.

3. الأحاديث الواردة فيها وفضلها

- قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَزِّي أَخَاهُ بِمُصِيبَةٍ، إِلَّا كَسَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ حُلَلِ الْكَرَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

يُبرز الحديث الشريف المنزلة العالية والفضل العظيم لمواساة المؤمن لأخيه في وقت الشدائد؛ فالجزاء الإلهي يأتي من جنس العمل، حيث يُجازي الله تعالى مَن يسعى في تخفيف ألم المكلومين بأن يكسوه من "حلل الكرامة" يوم القيامة، وهو تكريم رفيع يرفع قدر العبد أمام الخلائق، كما يُظهر الحديث الشريف أن التعزية والدعم النفسي ليسا مجرد واجب اجتماعي، بل هما عبادة جليلة تعكس صدق الأخوة الإيمانية، وتُجسّد قيم التراحم والتكافل التي تجعل من المجتمع الإسلامي جسداً واحداً يشعر بآلام أفراده ويشاطرهم أحزانهم توددا وتقرباً إلى الله.

- عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، عندما أرسلت ابنة النبي ﷺ إليه أن ابناً لها يحتضر، أرسل إليها يقول: «إِنَّ لِلَّهِ مَا

أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ».

وهذا الحديث من أجمع و أبلغ صيغ التعزية وأعظمها نفعاً للمصاب؛ فعبارة «إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى» تؤسس في نفس المؤمن حقيقة أن النفس والمال والأهل كلها عوارض مستردة وودائع لله عز وجل، ممّا يُهون من روع الصدمة، وتأتي تكملة الحديث «وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى» لترسخ الإيمان بالقضاء والقدر، وتؤكد أن الموت لا يتقدم ولا يتأخر ثانية واحدة، مما يقطع دابر الندم والحسرة، ويختتم النبي ﷺ هذا التوجيه النبوي الحكيم بالدعوة إلى أصلين عظيمين هما: "الصبر" على ألم الفراق، و"الاحتساب" لطلب الأجر والثواب من الله.

4. الواجب و المستحب :

تجمع التعزية في الإسلام بين الواجب الأخلاقي والسنن المستحبة التي تُراعي مشاعر أهل المتوفى وتخفف عنهم وطأة الفقد؛ فالهدف

الأساسي منها هو الدعاء للميت بالرحمة وتسلية الحي ومواساته، ويُستحب في هذا السياق اختيار الكلمات الطيبة التي تبعث على الرضا بقضاء الله وقدره والدعاء بالصبر وعظيم الأجر.

ومن نبل الهدي النبوي في المواساة أن يصنع الأقارب والجيران طعاماً لأهل الميت ويرسلوه إليهم، نظراً لإنشغالهم واستغراقهم في مصيبتهم، لحديث النبي ﷺ لما جاء نعي جعفر بن أبي طالب قال: «اصْنَعُوا لِآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا، فَقَدْ أَتَاهُمْ مَا يَشْغَلُهُمْ» كما تكتمل آداب التعزية بتخفيف المكث وعدم إطالة الجلوس، إذ السُنّة أن يُعزي الشخص وينصرف دون أن يتحول إلى عبءٍ ثقيل يُجهد أصحاب الدار، أما من حيث وقتها، فتبدأ التعزية من حين وقوع الموت، وتجوز قبل الدفن وبعده، إذ العبرة بتقديمها في الوقت الذي يكون فيه أهل الميت في أمسّ الحاجة إلى الدعم والمواساة.

5. تعزية الكافر

يجوزُ تعزيةُ الكافرِ بالمسلمِ، وبالكافرِ الذِّميّ، وهو مذهبُ الجُمهورِ، الحَنفيَّة والمالِكيَّة والشَّافعيَّة.

6. المخالفات والبدع الشائعة في التعزية

- **تكليف أهل الميت بصنع الولائم**

من أعظم المخالفات أن يقوم أهل الميت بصنع الطعام وتجهيز الولائم للمعزّين، وهذا عكس السُنّة تماماً، قال الصحابي جرير بن عبد الله رضي الله عنه: «كُنَّا نَعُدُّ الِاجْتِمَاعَ إِلَى أَهْلِ الْمَيِّتِ وَصَنِيعَةَ الطَّعَامِ بَعْدَ دَفْنِهِ مِنَ النِّيَاحَةِ».

- **المبالغة في المظاهر والإنفاق**

تتجلى خطورة المبالغة في مظاهر التعزية والإنفاق المفرط في تحول المأتم إلى ميدان للمفاخرة والتباهي، وهو ما يتنافى مع الشريعة؛ حيث يُقبل البعض على استئجار الخيام الفخمة بأسعار باهظة، وإحضار القراء بأجور مرتفعة تُقتطع من تركة المتوفى وأموال الورثة، ويشتد النكير الشرعي في هذه الممارسات عندما تُستهلك تلك المبالغ من أموالٍ قد يكون فيها نصيب ليتامى لم يبلغوا سن الرشد، وهو ما يعد محرماً شرعاً وأكلاً لأموال اليتامى بالباطل في وقتٍ كان الأولى فيه صيانة هذه الحقوق والدعاء للميت بالرحمة والمغفرة بدلاً من إثقال كاهل الورثة بأعباءٍ لا طائل منها.

و من المظاهر السلبية التي تشوه مقاصد التعزية تحويل المأتم من موقف للاتعاظ والمواساة إلى ميدان للمفاخرة والتنافس الاجتماعي، حيث يسعى البعض إلى التباهي بتقديم أفخم أنواع الطعام والمشروبات والتمور الفاخرة، و هذا الإسراف لا يتنافى فقط مع مقاصد التعزية، بل يُحيل عزاء أهل الميت إلى مناسبة اجتماعية أشبه بالحفلات، و يفرض كلفة مادية ونفسية باهظة على أصحاب المصاب، ويزيح الاهتمام عن المقصد الأسمى للتعزية وهو الدعاء للمتوفى ومواساة أهله بصدق وبساطة.

- **السلوكيات الاجتماعية الخاطئة أثناء العزاء**

تُعد بعض السلوكيات الاجتماعية الخاطئة أثناء العزاء من المظاهر المؤسفة التي تُذهب خشوع الموقف وجلاله، ومن أبرزها انصراف الحاضرين إلى الحديث في أمور الدنيا ومشاغلها، فبدلاً من أن يكون المجلس مكاناً للاتعاظ والاعتبار بالموت والدعاء للمتوفى، تتحول بعض مجالس العزاء إلى مساحات لتبادل الضحك والأحاديث الجانبية حول التجارة، والسياسة، و هذا السلوك لا يُمثّل جرحاً لمشاعر أهل الميت واستهانةً بمصابهم فحسب، بل

يُنافي تماماً الحكمة الشرعية والتربوية من شهود الجنائز وعيادة أهل الميت، والتي تقوم في أصلها على التفكّر في الموت والدار الآخرة والمواساة الصادقة بقلوب خاشعة ووجلة.

- **النياحة والجزع**

تُمثل النياحة والجزع أحد أخطر السلوكيات الخاطئة التي قد يقع فيها المرء عند حلول المصيبة، حيث تتجاوز مجرد الحزن الطبيعي إلى مظاهر محرمة كشق الجيوب، ولطم الخدود، أو الاعتراض على حكم الله وقدره بالقول أو الفعل، وهذا السلوك لا يقتصر ضرره على كونه مظهرًا من مظاهر الجاهلية التي نهى عنها النبي ﷺ، بل إنه يخدش أصل الرضا بقضاء الله وقدره، ويحرم المصاب من أجر الصبر والاحتساب؛ إذ يُفترض في المسلم أن ينحصر حزنه في فيض المشاعر الإنسانية الفطرية الصامتة دون سخط، بحيث تظل جوارحه ولسانه مستسلمة راضية بأمر الله، بعيدة عن مظاهر السخط التي تزيد الوزر ولا ترد الفائت.

7. مدة التعزية

لم يرد في السنة النبوية الصحيحة نص صريح يحدد مدة معينة للتعزية، وقد اختلف الفقهاء في تحديد المدة التي تستحب فيها التعزية؛ فذهب جمهور من فقهاء الحنفية والشافعية والحنابلة إلى استحباب التعزية خلال ثلاثة أيام من الوفاة، وكراهتها بعد ذلك؛ لأن المقصود منها تسكين قلب المصاب ومواساته، والغالب أن حدة الحزن تخف بمرور هذه المدة، وقد تؤدي التعزية بعدها إلى تجديد الحزن، واستثنى الفقهاء من ذلك من كان غائبًا، أو لم يبلغه خبر الوفاة إلا بعد مضي ثلاثة أيام، أو تعذر عليه تقديم التعزية خلالها، فلا حرج في تعزيته بعد ذلك.

وفي هذا المعنى قال الإمام النووي رحمه الله: «قال أصحابنا: وتكره التعزية بعد الثلاثة؛ لأن التعزية لتسكين قلب المصاب، والغالب سكونه بعد الثلاثة، فلا يجدد له الحزن، هذا هو الصحيح المعروف» و نقل الإمام ابن قدامة رحمه الله القول بعدم التعزية بعد ثلاثة أيام، إلا لمن كان غائبًا، فلا بأس بتعزيته عند حضوره.

وذهب بعض أهل العلم، ومنهم فقهاء من المالكية، إلى عدم تحديد التعزية بمدة معينة؛ لعدم ورود دليل شرعي صحيح وصريح يحدد نهايتها بثلاثة أيام، ورأوا أن مشروعيتها مرتبطة بتحقق مقصدها، وهو مواساة المصاب وتخفيف حزنه، فتجوز التعزية بعد مضي ثلاثة أيام إذا كان المصاب لا يزال محتاجًا إلى المواساة، أو لم يتمكن المعزي من تقديمها قبل ذلك، ما لم يترتب عليها تجديد الحزن أو زيادة الألم.

وقد استدل بعض أهل العلم على تحديد مدة التعزية بثلاثة أيام بحديث النبي ﷺ: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث، إلا على زوج أربعة أشهر وعشرًا»، غير أن هذا الحديث ليس نصًا صريحًا في تحديد مدة التعزية، ولذلك بقي تحديدها بثلاثة أيام من مسائل الاجتهاد الفقهي.

وبناءً على ذلك، فإن الأصل في التعزية أنها مشروعة لتحقيق المواساة وتسلية المصاب وحثه على الصبر والاحتساب، ولم يثبت في السنة النبوية تحديد مدتها بوقت معين. واستحباب تقديمها خلال الأيام الثلاثة الأولى هو قول مشهور عند جمهور

الفقهاء، مع جوازها بعد ذلك عند وجود سبب معتبر، كغياب المعزي، أو تأخر علمه بالوفاة، أو استمرار حاجة المصاب إلى المواساة، بشرط ألا تؤدي التعزية إلى تجديد الحزن أو زيادة المصاب ألمًا.